

# النفس البشرية في القرآن الكريم

بقلم الدكتور أحمد شقيرات

مقدمة: ما علم النفس؟

إن أفضل تعريف لعلم النفس، هو: «ذلك العلم الذي يدرس السلوك الظاهر دراسة نظامية، ويحاول تفسير علاقته بالعمليات غير المرئية، التي تحدث داخل العضوية سواء العقلية منها أو الجسدية من جهة، وعلاقته بالحوادث الخارجية في البيئة من جهة ثانية»<sup>(١)</sup>.

وإن علم النفس على مساس مباشر بمعظم جوانب حياة البشر، فهو يهتم بدراسة سلوك الفرد في كل المجالات الممكنة، وهو يتعلم في البيت، وفي المدرسة، وهو يتفاعل مع الآخرين، وهو ينمو يوماً بعد يوم، وهو يبيع ويشترى، وهو يحارب ويقاوم، وهو ينتج ويستهلك، وهو يضطرب ويتوتر، وعالم النفس لا يكون هو الشخص المعني المباشر في حل المشاكل الاجتماعية في كثير من الأحيان.

والتمييز والظلم والغربة ليجنبها،  
والتعرف على العوامل التي تسبب  
المرض العقلي، والتخلف العقلي،  
والظروف التي يمكن أن تعمل على  
ازالتها، وجعل حياة الانسان بالتالي  
أكثر رضى وسعادة<sup>(٢)</sup>.

وان ما يميز علم النفس عن  
المحاولات المتعددة الأخرى، لفهم سلوك

وقد أصبح علماء النفس وخاصة  
الشباب منهم، يهتمون بالقضايا  
الاجتماعية التي تهم البشر، والتي  
تعمل على تغيير حياتهم نحو الأحسن،  
مثل البحث عن أفضل الطرق لتنشئة  
أطفال أكثر سعادة، وأكثر إنتاجاً في  
سنوات الرشد، والتعرف على الظروف  
العائلية والاجتماعية التي تساعد على  
خلق الجريمة والعدوان والتعصب



الحق» (٤).

وقد فطرت النفس المسلمة على التوحيد، وهي لا تحيد عنه، الا من أفسدت فطرته عوامل خارجية مؤثرة، تستغل الاستعداد عند الانسان للهدى والضلال، فهي تؤثر اما بفعل الايحاء وهو التأثير بأنواعه بالآخرين، واما بعوامل ضاغطة كالفرد الضاغط والأسرة الضاغطة، والظروف الضاغطة، وهناك عوامل خارجية أخرى كالإغراء والتخويف (٥).

وقد قال الله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ النساء: ١، ولم تقف هذه النفس مع الاخبار الإلهي لعله محبتها الأكل، معتمدة على علمها من نفسها، وهذا موضع الإلتباس لجميع العالمين، فكل من شقي انما شقي بهذا الإلتباس الذي شقيت به النفس أول وهلة، فكانت الأمم تعتمد على علمها الحاصل لها من حيث العقل او خبر المثل، وتترك الإخبارات الإلهية الصريحة الواضحة مع البراهين القاطعة بصدق الرسل اليهم بها فهلك الجميع، وسر هذا ان النفس هلكت به أول مرة وهي الأصل، لأنهم كلهم مخلوقون منها.

◆ النفس الكاملة:

اعلم حفظك الله ان الانسان

الانسان والتقبؤ به، هو ان علم النفس الحديث، يرفض الاعتقاد بأن العضوية البشرية، تسكنها قوى لا يمكن البرهنة على وجودها، وعلى الرغم مما يعتقد من علماء النفس، فإن علم النفس لا يعتقد بأن حياة الانسان تتأثر بمواقع النجوم عند ولادته، كما لا يرضى بوصف الانسان حسب الطريقة التي ارتأها الفلاسفة القدامى، ولا يرى ان هناك نفعاً وراء الحكم والأمثال الشعبية التي تحاول تصوير شخصية الفرد، والتي غالباً ما تكون متناقضة فيما بينها (٦).

◆ النفس البشرية وخصائصها:

**النفس الأولى:** قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ الأعراف: ١٧٢، ويقرر العلم اليوم ان الناسلات، وهي الخلايا الوراثية التي تحفظ سجل الانسان وتكمن فيها خصائص الأفراد، وهم بعد خلايا في الأصلاب، ان هذه الخلايا التي تحفظ سجل ستة مليارات من البشر، وتكمن فيها خصائصهم كلها، لا يزيد حجمها على سنتيمتر واحد، أو ما يساوي ملء قمع واحد من أقماع الخياطة! وصدق الله العظيم القائل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

ما يرضي خالقها تعالى وإن الخيبة إحساس بالإحباط الذي يرين على النفس عندما تشتط في سلوكها، لذا يلازمها الاكتئاب بنوعيه: الخفيف والحاد، والاكتئاب مرض نفسي يلازم النفس حينما تجترح الذنوب، أو عندما تشتد عليها الخطوب<sup>(٩)</sup>، وقلب الانسان وضميمه ونفسه، انما هي ركائز كينونة الانسان الذي يحثه بآرائه سبحانه وتعالى ليعمل فكره: أي يجب على الانسان النظر في كل ما حوله وفي نفسه، فعليه التفكير والتدبير، وعليه التبصر والتأمل، وعليه التفاعل مع ما حوله، وهذا من شأن القلب المضيء والنفس الراضية المستقرة<sup>(١٠)</sup>.

وقد قال الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠): ان قصور العقل وسوء الخلق أمران مختلفان قد يجتمعان، وقد لا يجتمعان، ولكن قصور العقل قد يساعد على إنشاء ذائل صاحبه، فتحسب أنها ناشئة منه، وللنفس تقلبات، وكذا للقلب والوجدان أهواء وتقلبات، ويؤيد هذا ما قاله الكاتب الفرنسي لاروشفوكو (١٦١٣-١٦٨٠): «ان النفس قد تنتقل من مرض الى مرض»، وقد قال تعالى: ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ محمد: ١٩<sup>(١١)</sup>.

الكامل، هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله الى آخره، واعلم ان الانسان الكامل مقابل لجميع حقائق الوجود بنفسه، قال رسول الله ﷺ: «قلب المؤمن عرش الله»<sup>(٦)</sup>.

♦ الآيات التي تناولت النفس البشرية:

روعة القرآن انه تناول النفس البشرية بآيات كثيرة خصها بها، مثلما تناول معظم حياة البشر على الأرض، وقد تجاوزت الآيات التي تحدثت عن النفس البشرية ثلاثماية آية<sup>(٧)</sup>، والنفس بكتلتها العاطفية، الخير والشر، مستودعها ومسكنها الجسد، وحصراً ربما في القلب، وذلك من مخاطبة الله تعالى للقلوب، وحكمه عليها كأنها هي المسؤولة عن الإيمان والعمل، قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ الحج: ٤٦<sup>(٨)</sup>.

♦ ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾  
الشعور بالاطمئنان حاجة نفسية:

تطمئن النفس البشرية حينما تشعر أنها أفلحت في مصافاة ذاتها وانسجام فعلها مع شفافية كينونتها، فيداخلها الرضا، اذ تستشعر مواعمة سلوكها مع



## ◆ النفس والقلب يحسان برحمة

الله تعالى:

ان من رحمة الله تعالى بالإنسان، أن وهبه من مقومات العقل والقلب والنفس والوجدان، ليتحلى باستكناه روائع هذا الكون، ثم ليثوب الى عقله وقلبه ونفسه لتمتلي جوانحه بالايان، اذ ان القلب يظل فارغاً أو لاهياً أو حائراً حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به، فإذا امتلأ قلبه بهذا اليقين فإنه يعرف منهجه، والى أين ينقل خطاه (١٢).

## ◆ القرآن شفاء للنفس البشرية:

قال الله تعالى: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً﴾ الاسراء: ٨٢، وقال ﷺ: «عليكم بالشفائين.. العسل والقرآن» ابن ماجة صحيح، وقال رسول الله ﷺ: «خير الدواء القرآن»، ابن ماجة في سننه.

وقد قامت مؤسسة العلوم الطبية الاسلامية في ولاية فلوريدا الامريكية باختبار موسع لمعرفة أثر تلاوة القرآن الكريم على نفوس عدد من المرضى، وقد أثبتت هذه الأبحاث وجود أثر مهدي للقرآن الكريم بنسبة ٩١٪، حيث دلت على تحقيق درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي (١٣).

## ◆ آيات الشفاء للنفس البشرية:

قال تعالى: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ التوبة: ١٤، و﴿شفاء لما في الصدور﴾ يونس: ٥٧، و﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ النحل: ٦٩، و﴿نزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ الاسراء: ٨٢، و﴿إذا مرضت فهو يشفين﴾ الشعراء: ١٨٠، و﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ فصلت: ٤٤ (١٤).

ولقد كان رسول الله ﷺ صاحب النفس الزكية، عارفاً بأفات النفوس، وعالماً بما يصلحها، فلا يكلف المؤمنين فوق ما يطيقون، ولهذا يقول ﷺ شارحاً هذا المعنى: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني اصوم وافطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء» رواه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٤٧٧٦ (١٥).

## ◆ وللنفس أخلاق:

قال الشاعر:

النفس سر الرب وهي الذات  
فلها بها في ذاتها الذات

وقال آخر:

وللنفس أخلاق تدل على الفتى

أكان سخاء ما أتى أم تساخياً



وقد جاء موقف القرآن الكريم من العناية بالأسرة، وخاصة الأطفال، لأن الأطفال الذين لا ينعمون بحنان الأب والأم، يعيشون حاقدين على المجتمع، مرضى النفوس، فيكونون بلاء على أمتهم<sup>(١٨)</sup>.

#### ◆ الشخصية المسلمة ونكران الذات:

يقول مؤلف كتاب «الشخصية المسلمة حسب المنهج القرآني»: ان الشخصية المسلمة تنكر ذاتها من واقع شعورها بالمسؤولية، وعلم النفس الحديث يرى المسؤولية بمنظار الحياة على مدى سعتها، لهذا شرع المختصون بالعلوم النفسية بخاصة، والاجتماعية بعامة، يولون المسؤولية اهتماماً عريضاً.

#### ◆ أين يكمن اللغز حول مصدر قوى الانسان وشخصيته؟

يذهب علماء النفس، ومنهم «اولر، ويونج» الى ان «الأنا» هي حاملة عناصر شخصية الانسان، وهي في الوقت ذاته عنصر وعي الذات، ولكن الانسان يأخذ الغرور حين ينظر الى شخصيته، فلا يتأمل لحظة ما هو المبدأ الذي شرع من عنده رحلة أطواره، ولا يتفكر برهة الى أين المصير، هو هكذا لأنه لا ينهي نفسه

وقد دعا القرآن الكريم الى مكارم الأخلاق، والخلق لغة: الدين والطبع والسجية<sup>(١٦)</sup> (لسان العرب لابن منظور، ج ١، ص ٨٨٩).

**والأخلاق قسمان: أخلاق كريمة، وأخلاق ذميمة،** وقد دعت الشريعة الاسلامية الى تزكية النفوس وتطهيرها حتى تكون كريمة الأخلاق، قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاه﴾ و﴿قد أفلح من زكاه﴾ و﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ القلم: ٤<sup>(١٧)</sup>.

#### ◆ الزواج سكن للنفوس:

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ الروم: ٢١، وكلمة «تسكنوا» تعني حاجة فطرية بعيدة الغور في النفس الانسانية، وإذا لم تلب هذه الحاجة فإن البديل هو القلق النفسي، والتعب القلبي، وقد عدّ علماء النفس العزوف عن الزواج، أحد أسباب الأمراض النفسية السائدة في عالم الغرب، والزواج سكن لأن زوج الانسان جزء منه، فحواء مخلوقة من آدم، فالرجل والمرأة متوافقان نفسياً وروحياً، ولذلك فإن المشاعر الانسانية الراقية من الود والرحمة، تنشأ وتتمو في ظلال العلاقة الزوجية.



هذه الشخصية نفسها بين عناصر متداخلة ومتكاملة، كعنصر الفطرة الكامنة في النفس، وعنصر العقل، وعنصر الوحي الذي يكمن في ظاهرة النبوة، وتتسم هذه العناصر الثلاثة بالهداية التي هي نور إلهي، قال تعالى: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ النور: ٣٥، (١٩).

عن الهوى، قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها﴾ فألهمها فجورها وتقواها﴾ الشمس: ٧-٨ .

وتجد الشخصية الإسلامية ذاتها بين بعدين كليهما من خلق خالق واحد جبار، الأول: بعد الحياة الأرضية، والثاني: بعد الحياة الآخروية، كما تجد الهوامش:

- ١- د. عبد الرحمن عدس ود. محيي الدين توق، المدخل الى علم النفس، طه، دار الفكر للتوزيع، عمان، ١٩٩٥ ص ٥ .
- ٢- المرجع السابق، ص ٣-٤ .
- ٣- المرجع السابق، ص ٥ .
- ٤-٥- د. عبد العلي الجسماني، الشخصية المسلمة حسب المنهج القرآني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٥٧-٥٨ .
- ٦- الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي، الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠، دون تاريخ، ص ٢٠٧ .
- ٧- ماهر أحمد الصوفي، آيات الله في النفس والروح والجسد، دار الرضوان، حمص، دون تاريخ، ص ٣ .
- ٨- المرجع السابق، ص ٧٠ .
- ٩- د. عبد العلي الجسماني، نداء الفطرة الإيماني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩ .
- ١٠- المرجع السابق، ص ٢٠٠ .
- ١١- المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٤ .
- ١٢- المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩ .
- ١٣- محمد عزت محمد عارف، عالج نفسك بالقرآن، الأمل للطباعة الالكترونية، جدة، ١٩٩٢، ص ١١ .
- ١٤- المرجع نفسه ص ٢٧ .
- ١٥- د. فضل حسن عباس، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، دار البشير، عمان، ص ١٢٥ .
- ١٦- ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٨٨٩ .
- ١٧- د. عمر الأشقر، نحو ثقافة اسلامية اصيلة، طه، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٠، ص ١٥٧ .
- ١٨- المرجع نفسه، ص ٢١٦ .
- ١٩- د. عبد العلي الجسماني، الشخصية المسلمة حسب المنهج القرآني، مرجع سابق، ص ٥٧ .